

جرفه ولم تروه المرأة وما هو في الميون جالس  
 يغنيها اغنيته ، فيدحرج وجهه ولا تراه . فما نفع  
 العالم باغنياته واعشابه ما دام الانسان مضطراً ان  
 يستعير شفته واذنه ليصنع عشاقه ؟ ان انسي الحاج  
 يتم خطته في «لن» حيث رفض ان يستعير الخارج  
 بل ان يحل في مستودع يستقطبه ، يبقاه ويحميه ،  
 واخيراً اكتشف استحالة ما يرغب : ففقد وقف  
 الاخرون يرمقون ميته ويسحبون شعرهم من القبط .  
 وبعد ان صفا وهدأ يأمر النبع ان يمر : « مري ،  
 ليس في الروح احد . » والحب لا يشب فهو عينان  
 مهملتان في القلب : فعاد ليعترف ان احاديثه ارضفة  
 شتوية : « والرقص يحتاج الى اثنين وانا اعانق  
 شخصاً لكنه مات على الجبل . » ورغم ما عبر وما  
 رغب فهو ما زال على اتصال بالحلم المستحيل : « لو  
 مرة كت فراشة تخترق الاسود والحويق تخترق  
 الجوزة والفراشة » .  
 ويدور العالم « وتنزل المقصلة حاملة اريحا » ،  
 « الامواج الناصبة على الصخور مفتحة » ، « سمعت  
 فيك انهيارى ومت - كل سحابة ماتت » .

السرطان : الحرية . وما هو بينه وبين الخنزير هوة  
 لا تشدهما والجنس طروادة . الجنس حرب  
 والخنزير لا ينفجر . ويوم القيامة يخرج من الجنة :  
 « فطريق الوطواط واضح » . هو والله والموت  
 سيخرجون من الجنة . ومن ثم الى اين ؟ ما قيمة  
 الخروج من الجنة ؟ انه سيرى شعوب الارض فقط  
 درنا معنى او هدف . والسهم يشير الى الفراغ  
 وعلى الصيادين ان ينتهوا في الفراغ ، فصديقه  
 يتناسل ولطخة انتقامه تأكله . وهو صامت و«لن  
 يستنجد ضد ما يجمل » و « نجمة البلد الابدي ...  
 اكثر حقيقة من صوت المرأة الآخر ، انقى من  
 غريق ملاك » و « نفوس النجمة في شيء ما يحملها  
 واتبعها لتتعد ، وسراً بصمت عال تدخل اخبارنا  
 المقلقة ، تخرج من الطرق ، تقطعها بتلوج الشمس  
 الحمراء » . والموت طروادة الموت : نجمة البلد  
 الابدي تعيده الى المرأة اخيراً : « اسكتيني يا من تزينها  
 قشعريتي ولينطلق عرسنا من الابواب الاخرى .  
 اطفئي كل بريق في عيني ولا يبقى غير بحرك يلم ييدي  
 المعمبتين ، اجراس لذته المخبونة » . لكن النهر

## نقد واسطورة من السودان

« دراسات في شعر التجاني » لجماعة الادب السوداني . الخرطوم ، ١٩٦٣

« حياة تاجوج والمخلق » بقلم محمد صالح ضوار . الخرطوم ، ١٩٦٣

السوداني اول اعمالها نحو تحقيق غايتها النبيلة في  
 التعريف بالتراث السوداني وازالة ما علق عليه من  
 غبار الاعمال واللامبالاة .

وجامعة الادب السوداني واحدة من عديد من  
 الجمعيات الادبية التي انبثقت في الاونة الاخيرة في  
 السودان والتي تهدف الى تنشيط الحركة الادبية  
 واحياء التراث الثقافي في السودان . ولقد ادركت  
 جماعة الادب السوداني ان نقطة البدء في تركيز  
 دعائم الادب السوداني وتنشيطه تستلزم العودة الى

في مقدمة كتاب « دراسات في شعر التجاني »  
 الذي اصدرته جماعة الادب السوداني بمناسبة المهرجان  
 الذي اقيم للشاعر التجاني يوسف بشير بمناسبة مرور  
 خمسة وعشرين عاماً على وفاته ، يقول الناشر :  
 « من اكبر مشا كل الادب في بلادنا هذه الانصرافية  
 عن تراثنا الادبي في اشكاله كلها . فنحن نؤمن  
 بأن السات النفسية والخصائص المميزة لامتنا  
 تترسب بشكل حتمي في آدابها الدارجة والفصيحة » .  
 بهذه النظرة الواعية المثقفة تفتتح جماعة الادب

يقدم على اعتابه باقة من الورد اعترافاً بمبغريته  
وشاعريته - اعترافاً جاء متأخراً ولكنه مؤثر  
جبار على كل - حال .

والتجاني يوسف بشير شاعر وجداني صوفي  
في نبرات صوته كل حلاوة التقريد التي تنبع من  
وجدان صاف رقيق بكل عمق الصوفية المرهفة  
الحساسة التي ترتفع بصاحبها الى جنة اليقين لتلقي  
به في اتون الشك والحيرة ، وفي نغماته لفة الحب  
وحنين الغربة والحرمات . واييات شعره الملتب  
طقوس في عبادة اله الحب والجمال . وقد عاش  
التجاني فقيراً عروماً ومات بدهاء الصدر ولما يبلغ  
السابعة والعشرين من عمره . مات وهو يحمل قلباً  
لم يرتو من ظمئه الابدي ، وترك وراءه اسطورة  
مازال النقاد والكتاب يحلون طلاسمها ، وشعراً  
رقيقاً تنهل منه نفوس الكثيرين في العالم العربي كله.  
هذا هو الشاعر الذي تضمه دفنا هذا الكتاب  
القيم باقلام نفر من خيرة الكتاب والمفكرين في  
السودان ، نحاول ان تكشف في وعي وبصيرة عن  
جوانب هذا الشاعر الفذ . حسن نجيلة ، الاديب  
الذي سطر لنا ذكرياته القيمة عن فترة غنية في  
تاريخ السودان الادبي والثقافي في كتابه « ملامح  
من المجتمع السوداني » ، يحدثنا في اسلوبه الشيق  
الرشيق عن التجاني كما عرفه وعن جيل التجاني  
كما خبره ، جيل المدارس السرية والصدقات  
الفكرية . ويحدثنا كيف التقى بالتجاني لأول  
مرة ، ومن خلال حديثه ترسم في مخيلتنا صورة التجاني.  
وفي موكب تخليد هذا الشاعر. تشترك اقلام  
الادباء الاخرين ، كالاستاذ فاروق الطيب الذي  
يتناول موضوع « التجاني في نظر النقاد » ، وبعين  
اديب ناقد يحلل لنا آراء النقاد في شعر التجاني  
ومن بينها الاراء التي وردت في كتاب « التجاني  
شاعر الجمال » للدكتور عيد المجيد عابدين الذي  
يعتبره الناقد من اقيم ما كتب عن الشاعر . وهو  
لا يكتفي بالسرد ، وانما يتعمق هذه الاراء  
بالتحصيل والتعليق في اصالة وعمق .  
هذا التحليل الاكاديمي يتحول الى شاعرية

التراث الادبي واحيائه ، اذ يستمد الادباء  
الناشئون من صفحاته مبعثاً وقوة وعبرة تدفعهم الى  
الاتجاه الاصيل الذي يضرب بجذوره في اعماق  
تاريخهم وثقافتهم وحضارتهم ، لا ادباً مستورداً  
فاجزأ مقلداً .

على ان الناشر يدعي كثيراً اذ يومه بأن هذا  
التراث قد ظل مقبوراً حتى اتيح له جماعة الادب  
السوداني تنفت فيه روحاً جديدة . ما من احد  
يريد ان يغمط فصل هذه الجماعة ومجرباتها في هذا  
السبيل . ولكن من العدل ايضاً ان نشير الى ان  
مهمة احياء التراث الادبي في السودان قد ظلت  
محور نشاط هيئات وافراد عديدين . وان كان  
النشاط ظل محجوباً فسبب عقبات النشر والتوزيع  
كما يذكر الناقد نفسه في مقدمته .

ومع ذلك فقد ظهرت بعض وجوه هذا النشاط في  
كتيبات الندوة الادبية وغيرها من الهيئات الثقافية  
والمحاضرات المختلفة وفي كتاب « ملامح من المجتمع  
السوداني » وكتاب « الشعر الحديث في السودان »  
وغیرها ، الى جانب الجهود التي تقوم بها الجامعة  
والصحافة والمعاهد العلمية الاخرى في هذا الصدد .  
وقيمة هذا المهرجان الذي اقيم لتخليد التجاني  
لا تنبع من كونه اول مهرجان يقام لتخليد شاعر  
او اديب ، فقد عرف السودان العديد من هذه  
المهرجانات ، كما شهد من قبل حفلات التأيين لعدد  
من الشعراء والكتاب . وفوق هذا فهو ليس اول  
مهرجان يقام للتجاني : فهناك مهرجان القاهرة  
والاسكندرية الذي اشترك فيه كثير من الشعراء  
والادباء الكبار كالدكتور ابراهيم تاجي . ولكن  
قيمته الاساسية تنبع من كونه اول مهرجان يقام  
لشاعر ويجد مثل هذا التجارب الحماسي من كل  
قطاعات الشعب السوداني. فقد كانت ايام المهرجان  
عيداً قومياً اشتركت فيه الحكومة ومشى في موكبه  
الصامت اعضاء المجلس البلدي ويمثلو الصحافة ودور  
العلم والثقافة والادباء .

وامام قبر التجاني الذي ظل مهملاً لا يتنبه اليه  
احد زهاء خمسة وعشرين عاماً وقف الموكب الرهيب

مرهفة مثقفة على يد الشاعر السوداني الشاب صلاح احمد ابراهيم ، وهو يحدثننا عن العوامل النفسية التي اثرت في شعر التجاني . وقد اختار لدراسته عنواناً منتزعا من دراساته العميقة في الادب الانكليزي فاسماها « الجرح والقوس » . والجرح هنا يمثل حياة التجاني المليئة بموامل الفقر والكبت والحُرمان والاضطهاد ، والقوس يمثل موهبته الشعرية التي حولت هذه الدموع الى لآلئ ، كما يحدث في بعض اساطيرنا السودانية . وفي رحلة فنية خيالية عبر اشعار التجاني مليئة بالوصفات الفكرية الجبارة يزيج لنا الكاتب الستار عن آلام الشاعر التي استحال الى انغام عذبة يرتلها على قيثارته . يحدثننا الشاعر الشاب اننا حين نلتصم التجاني في شعره نجد « شاعراً استلهم الادب القديم وكان قيثارة الجديد ... كلمات مفاجئة وتعبيرات مدهشة وابتكار في اللغة غير مألوف ، وصدق في شعوري وقسمات سودانية ، ومع ذلك فهو شاعر سما الى صعيد الاعجاز في المستوى العربي . شاعر رد الى الشعر السوداني كرامته » .

اما الاستاذ عبدالله الشيخ البشر رئيس جماعة الادب السوداني فينثر امامنا ثلاث قضايا في شعر التجاني : تطور العقيدة ، فلسفة الفقر ، والوطنية في شعره . ويستشهد على مناقشاته بابيات من شعر التجاني في تسلسل منطقي وحجج واعية وتناول علمي دقيق . والاستاذ عز الدين الامين يختار لموضوع حديثه : « من مظاهر الرومانتيكية في شعر التجاني » . وهو يحرص هذه المظاهر ، بعد استعراض سريع لتطور الرومانتيكية في الادب المعاصر ، في ثلاثة امور : لجوئه للطبيعة ، وقصائده الصوفية ، وميله الى الطفولة وحنينه اليها .

ولعل اكثر هذه الدراسات عمقا بحث الاستاذ الشاعر محمد محمد علي : « التجاني ووحدة الوجود » . ولقد كانت فلسفة التجاني وایمانه بوحدة الوجود مصدر تكهنات عدد كبير من النقاد حتى اوشك هذا الزعم بقوة سيطرته ان يصبح حقيقة لا تقبل الشك . غير ان محمد محمد علي يأخذ في تفنيد

قبل قرن من الزمان ومن تلال البحر الاحمر في شرقي السودان ولدت اسطورة تاجوج ، قصة حب واقعية جرت حوادثها في ارض قبيلة المحمران بين المحلق ، الفتى الفارس الشجاع والشاعر العاشق ، وابنة خاله تاجوج ابنة زعيم القبيلة وذات الجمال الاسطوري الساحر الذي اهم الشعراء والكتاب عبر قرن من الزمان .

والغرام الملتهب في قلب الشاعر العاشق يستحيل الى انغام عذبة حلوة يتناقلها الشبان وتنشدها القتيات عبر المسافات البعيدة . ويتقدم المحلق لخطبتها ويتم زواجه منها ، ويوقف الشاعر الفارس حياته وقلبه وشاعريته لطبيسته وزوجه . ولكن ... تلاحق مأساة الاساطير الرومانسية الحسينية فيفترقان بعد طلاق لا رجعة بعده . ويتحطم قلب المحلق ويهيم على وجهه يسكب مأساته في انغام دامية حزينة . ثم يعود الى الحي فيجد زوجه قد اقرنت بصديقه فيصيبه الهزال ويحضر في احضان حبيبته . القصة كما ترى لا تختلف كثيراً عن القصص الرومانسية « كما جدولين » و « آلام فرتر » و « روميو وجوليت » وقصص العذرين كالمجنون وقيس لبنى وغيرها والتي وجدت نجواً لا حده عبر قرون طويلة وتناقلتها السن الرواة ، فابتدعوا فيها ووجدوا فيها منفذاً واسعاً للخيال والوضع والتحرير ، وخلدت لنا تراثاً من الشعر الوجداني الرومانسي ما زال الناس يتناقلونه في شفء .

الغرام الملتهب في قلب الشاعر العاشق يستحيل الى انغام عذبة حلوة يتناقلها الشبان وتنشدها القتيات عبر المسافات البعيدة . ويتقدم المحلق لخطبتها ويتم زواجه منها ، ويوقف الشاعر الفارس حياته وقلبه وشاعريته لطبيسته وزوجه . ولكن ... تلاحق مأساة الاساطير الرومانسية الحسينية فيفترقان بعد طلاق لا رجعة بعده . ويتحطم قلب المحلق ويهيم على وجهه يسكب مأساته في انغام دامية حزينة . ثم يعود الى الحي فيجد زوجه قد اقرنت بصديقه فيصيبه الهزال ويحضر في احضان حبيبته . القصة كما ترى لا تختلف كثيراً عن القصص الرومانسية « كما جدولين » و « آلام فرتر » و « روميو وجوليت » وقصص العذرين كالمجنون وقيس لبنى وغيرها والتي وجدت نجواً لا حده عبر قرون طويلة وتناقلتها السن الرواة ، فابتدعوا فيها ووجدوا فيها منفذاً واسعاً للخيال والوضع والتحرير ، وخلدت لنا تراثاً من الشعر الوجداني الرومانسي ما زال الناس يتناقلونه في شفء .

التي انبثقت منها الاسطورة . وقد اوقف نفسه على دراسة اقليم البجة ، وله مؤلفات تاريخية قيمة في هذا الصدد، كما اعتمد عليه من المؤرخين السودانيين والاجانب . والاستاذ ضرار لا يعالج قصة تاجوج كاسطورة ، وانما يحاول جاهدا ان يحققها كحادثة تاريخية واقعية . وقد تكلف في ذلك جهداً كبيراً ، اذ انتقل بين قبائل الحمران يلمشث القصة ثم سطرها في اسلوب فيه شيء من الجفاف .

ولهذا الكتاب هدفان : اولها انكار غزور الهدندوة لديار الحمران وسليم لتاجوج كما تقول الاسطورة ، والثاني وهو المهم نفى الزعم الذي يقول بان سبب الخلاف بين العاشقين طلب المحق لتاجوج ان تتجرد من ثيابها وترقص امامه عارية . ويقول ان الغرض من وضعها هو الحط من قدر البجة وقد دسها اصحاب الاغراض الدينية ، وانه لو صح ما تقول الاسطورة لكان للمحقق مع اخيها وابيها موقف حزم وشدة ريبا ادى الى سفك الدماء . على ان المؤلف اذ يحاول خلاصا ان يجرد الاسطورة من هذا الادعاء لا يأتينا بسبب مقنع يمكن ان نرتاح اليه . فهو يجدنا ان سبب الخلاف بين تاجوج والمحقق انه تغزل فيها كثيراً واكثر من وصفها ، فلامه رجل من قبيلته اسمه النور ، فاعتذر له المحقق بان سحرها لا يقارم وان النور لو رآها لعذره . وتأكيذاً لقوله سحب النور معه الى خباء زوجته سرا ثم ثقب الحياء . ولحظت زوجه ذلك . ودخل المحقق وطلب من تاجوج ان تلبس ازار الرقص لانه يريد ان ترقص له وحده . فانتزعت عليه ان ينفذ لها طلبها ان فعلت ، فوافق دون تردد . وحين ارتدت ملابسها طلعت منه الطلاق ، اذ وات في هذا التصرف امتناناً لكرامتها .

وكلتا القصتين كما ترى مدعاة لشك من الوجهة الواقعية ، بل ان قصة المؤلف اقرب الى الاسطورة من الاسطورة . وربما يستطيع مؤرخ ان يكشف حقيقة القصة التاريخية في يوم من الايام . ولكن ذلك لن يحوي الاسطورة او يزيد لها من الوجود ، لانها حقيقة قائمة بذاتها .

وقد اشتهرت قصة تاجوج والمحقق واصبحت في خيال الناس اسطورة يتناقفونها جيلاً بعد جيل حتى امتحت معالم الحقيقة وسط ضباب الخيال الجامع . ولم يخل كتاب في تاريخ السودان منها ، فقد ذكرها الرحالة والمؤرخون كأشهر اسطورة سودانية وتناقفتها المجلات المصرية « كالطائف » و« البلاغ الاسبوعي » ، كما ذكرها نوم شقير في كتابه « تاريخ السودان » والدكتور محمد عوض محمدي في كتابه « تاريخ السودان الشمالي » ، ووردت في رحلة الامير يوسف كمال وفي « مذكرات السودان ومدوناته » وغيرها من المجلات والكتب .

وقد وجد الرواة في واقعة الطلاق بين المحقق وتاجوج برغم لوعة غرامها متمساً ليعملوا فيه خيالهم الفسح . وانتقلت اسطورة تاجوج في كل انحاء السودان يتعاجى بها الشبان على ضوء القمر في القرى النائية . تقول هذه الاسطورة ان المحقق عاد من احدى غزواته العديدة وهو يلتهب غراماً وهياماً ، وبينما هو جالس مع زوجته تاجوج خطرات له فكرة مشؤومة : فالتمس منها ان تحقق له أمنية عزيزة عليه . فلما اعلنت له انها طوع بنان حببها وزوجها ، طلب اليها المحقق ان تتجرد من ثيابها وتخطو امامه عارية حتى يتسلل جالها الذي طالما ارهقه وعذبه . فذهلت تاجوج ولكنها تمالكت نفسها ونفذت له طلبه ، بعد ان انتزعت منه قسماً بان ينفذ لها طلبها . وبعد ان ارتدت ملابسها طلبت اليه في هدوء ان يطلقها . وصق المحقق ولم يجد بداً من تنفيذ قسمه . ذلك ان تاجوج وهي ابنة العز والسلطان رأت في طلب المحقق لها اهانة لكرامتها وحبها اذ ياملها كما يامل الجارية . هذه الاسطورة اهتم شعراء الاغاني والكتاب ، وقد صدر اول كتاب لاديب سوداني حول مأساة تاجوج قبل عشرين عاماً ويتضمن طرفاً من اشعار المحقق .

وأخر سطر في هذه الاسطورة هو كتاب « حياة تاجوج والمحقق » للاستاذ محمد صالح ضرار . وهو مؤرخ معروف ينتمي الى قبيلة البجة